واحة سيـــوة

للأستاذ صبري حسن خلوان

كانت الساعة السادسة صباحا حين أخذنا عدتنا في « مرسى مطروح » مولين وجوهنا شطر سيوة ؛ تلك الجنة المخصبة وسط الصحراء الجدبة ، وكانا أمل أن ندركها قبل أن نبيت ليلة أو أكثر في جوف الصحراء الغربية . ذلك أن الرمال قد جادها الغيث الهتون وقد احتفلت نواحيه ، وأسفت أجازه وهواديه ، فشربت الصحراء بعد عطش ، وامتلأت الآبار بعد خواء ، وكونت التلاع الحادرة بحيرات كبيرة في المجتمع المنبسط الذي يصلح كطريق للسيارات !

وسرنا باسم الله ، ونحن على وجل من أن يغوص أحد إطارات السيارة في الرمال الدقيقة المتشبعة بماء المطر فتضطرنا الأحوال أن نبيت في العراء كما فعل قوم من قبلنا ظلوا في الطريق سبع عشرة ساعة . والمسافة بين « مرسى مطروح » وبين « واحة سيوة » ثلاثمائة كيلو مترا ، منها خمسة عشر كيلومترا بعد المائة ممهدة تمهيدا صالحا ، وما يتلوها فليس له معالم متميزة فهو يختلط إلا على السائق الماهر الذي جاب الطريق أكثر من مرة ، هذا عدا ما يلاقيه المسافر من صعوبات جمة لكثرة المرتفعات والمنخفضات في عرض الصحراء التي تجعل المسافر بالسيارة لا يستقر على حال ، مرة إلى أعلى وثانية يقع على جنبه الأيمن وأخرى يميل إلى يساره ، وهو في ذلك يجد من الرهق مالا يحسه إلا المسافرون . إن السيارة تقطع المسافة الممهدة في ساعتين وتقطع الباقي في عشر ساعات . هنا يطيب أن نسأل لماذا لا تنشط الحكومة في تمهيد هذا الطريق الهام فتتمه في سنة أو سنتين أو ثلاث بدلا من أن تمهد كل عام ثمانية كيلومترات فقط ، أي أنها تريد أن تتمه بعد أكثر من عشرين عاما . . إن شاء الله !

إن واحة سيوة جزء من مصر ؛ بل هي من الأجزاء المهمة من مصر كما سنرى ، أم تريد أهل هذه الواحة أن يظلوا على اعتقادهم أنهم « سيويون » قبل أن يكونوا « مصريين » . إن وصف الطريق إلى سيوة هو من أول الواجبات التي يجب على الحكومة والتي يتحتم عليها الإسراع في أدائها

وبعد ثلاثة عشر ساعة لاقينا فيها من المصاعب ما لا قينا وصلنا إلى سيوة ، وبتنا ليلتنا وأصبحنا فوجدناها جنة خضراء يرتفع في جوها النخيل فشوان ، ويسكن في جنباتها الزيتون ، لا يشربان من ماء النيل وإنما من ماء العيون . وبالواحة ما يقرب من مائة عين ، كل عين تسيل في قنوات يخضر من مائها الحجر ، ويينع الزهر ويستوي الثمر ؛ ماء عذب صاف لا تخرجه آلة ولا يجود به سحاب وإنما ينبعث من جوف الحمى . . ينضح وجه الصحراء العبوس فيبتسم ، وجهها المتقطبة فتنبسط ، وطيبتها القاسية فتلين . . يرزقها الظل وهي بنت الهجير ، ويمنحها النسيم وهي أخت العواصف ، ويسمها الجمال ومن سماتها التجهم

وتنخفض سيوة عن مستوى سطح البحر بستة عشر مترا ، ويقترب منسوب الماء من سطح الأرض ؛ فقد حفرت حفرة صغيرة عمقها خمسون سنتيمترا في الجهة البحرية من الاستراحة الحكومية فتجمع الماء في قاع الحفرة ، على حين ظهر الماء في أرض المطار الحربي الجديد على بعد أكثر من مترين . ويمكن الاستفادة بقرب مستوى منسوب الماء في زراعة بعض الفواكه

معشوقته ومحلمهـــا من نبض الريض . ويروى المروضي السمرقندي أن ابن سينا دعي إلى مداواة هذا العاشق الفضو بأمر من الملك قابوس الذي دعا الشيخ الرئيس إليه ليعالج مريضه القريب . وعلى الرغم من طرافة هذه الحكاية فإن الأستاذ محمد ابن عبد الوهاب القزويني يستنبط أن ابن سينا لم يخـــدم الملك قابوس بن وشمكير لأنه حبس قبل بلوغ ابن سينا جرجان

محمد عبد الغني حسن

مثل البطيخ حيث لا يحتاج الأمر إلى كثير جهد . ويغطى التربة فى كثير من الأماكن طبقة قشرية تنفع فيها نسبة الأملاح مما قد يحتاج إلى بعض الجهد فى استصلاحها ، إلا أن وجود العيون ومائها الذى يسيران إلى حد كبير هذه المهمة

وهناك عين جديدة يوجد حولها أكثر من مائتى فدان لا ينقصها إلا اليد العاملة والبذرة التى توضع فى الأرض ، ولكنك لو سألت ، أتاك الخبر المحزن : كل الأهالى وقلة الأيدى العاملة . إن الأهالى هناك تراهم بنية لا تستقيم . . وبدا لا تشتد . وهمة لا تطمح ، فهم يعتمدون على ما يدره النخيل والزيتون . . أما النخيل فيبيعون تمره على أنواعه ويستغنون من بعضه «المجوة» ، وأما الزيتون فهم يخللونه أو يعصرونه فى معمل الوزارة الموجود هناك ليستخرجوا منه زيت الزيتون ، أما بقية العام فهم يقعدون . . اللهم إلا قلة قليلة تزرع الشعير وهو يجود . وإنك لتلاحظ الكسل من غير ما صعوبة لو أنك طفت مرة واحدة بالكميات الضخمة من النخيل فى الحدائق المختلفة ، فلا تجد نخلة مشذبة منظمة ، بل يتكاثف سعفها من عام إلى عام ، ويحيط بها نجلها سنة بعد سنة ، وهم يحجمون عن أن يتموا النجل بحجة تستند إلى خرافة

ما السبب إذن فى ذلك الكسل المخيم ؟ إن لأسبابه جذورا عميقة تمتد إلى أكثر من التواكل . يقولون إن الشذوذ الجنسى فى الرجال شائع إلى درجة كبيرة جدا . . . ونحن لا يهمنا أن نصدق ما يقولون أو نكذبه . . وإن كان ما يقولون ينافى الفطرة ، وخاصة وأنه — كما يزعمون — أصيع من (الألوفات) فإنه أيضا لا يهمنا أن نصدق هذا الزعم أو نكذبه ؛ إنما الذى يهمنا هو هاتان الظاهرتان المخيفتان : انفراض النسل فى خطوات ليست بالبطيئة ، وانتشار الأمراض السرية إلى حوالى سبعين فى المائة كما صرح بذلك بعض المسؤولين . إن عدد السكان كان منذ عشرين عاما خمسة آلاف نسمة وهو اليوم دون ذلك بكثير !

قد يكون التزاوج المحلى هو السبب ، وقد يكون ما «يقولون» . . وما «يزعمون» هو السبب . . وقد يكون انتشار الأمراض السرية هو السبب ، وقد يكون — أخيرا — هجرة الأهالى — على قلتها — هى السبب ؛ إلا أن الذى لاشك فيه أن عدد السكان فى تناقص مستمر . . وهذا شئ كفيل بأن يتدارك المسؤولون ، أن يتتبعوا الوشائج ، وأن يتعلقوا بالأسباب ، وأن يعرفوا مركز الدائرة ثم أن يطبوا للداء ! وعندى رأى لا أشك فى فائدته : لماذا لا تعمل الحكومة — أيا كانت هذه الحكومة — على ترحيل عدد كبير من المعدمين والعاطلين إلى هذه الواحة ، وهى ان عدهم إلا بالضئيل من المونة ، حتى تندى الكف الجافة ، وتشتغل اليد العاطلة ، ولعله أن يكون فى نشاط الوافدين إذكاء لهمة الأهالى القاعدين . وإنك لتعجب إذا علمت أن المستشفى الذى يريد أن يعالج قوما نسبة المرض بهم ما رأيت ليس به دواء ولا طبيب ! ذلك أن أنوار القاهرة تغرى . . وتغنى . . وأن الحكومة المصرية لم تستطع إلى الآن أن تجند الأطباء — وهم أساة البشرية — تجنيدا دوريا فى المتلكات المصرية التى لها فى عنق مصر حق الرعاية . إنه يجب على كل طبيب موظف بالحكومة أن يقضى عاما أو نصف عام فى الواحات وما شابهها حتى لا يحرم الناس اليد التى تأسو جراح المصابين

ورسالة التعليم من أهم ما يرتقى بهذه الواحة الجميلة البائسة . إن هناك مدرسة ابتدائية واحدة بها ثلاثة فصول وثلاثة مدرسين ، والصعوبة التى تواجه التعليم هناك هى اللغة ، إذ أن للأهالى لغة محلية خاصة قريبة لا تتصل بالعربية من قريب أو بعيد ، وهناك مدرسان خاصان بالمدرسة الأولية من اهالى الواحة ويعرفان العربية يتوليان هذه المهمة . . وهى جليلة ، إلا أنهما يشكوان من معاملة الوزارة لهما لأنهما ليسا من حاملى « الشهادات » . . فتعطى أحدهما منذ سبعة عشر عاما ثلاثة جنيهات فى الشهر ! ما هكذا يكون التعليم ولا تشجيعه ! والذى لاحظته عندما زرت

المدرسة هو فصاحة اللسان العربي بعد ما يتعلمونه

ولكسل الأهالي وعدم طموحهم ، تقل الجرائم ، وإن طائرة خاصة تطير بالقاضي مرة كل شهر أو شهرين ليجلس في منصة القضاء ساعة أو ساعتين يفصل فيها بين الناس في قضايا معظمها جنح وغرامات مالية ضئيلة ، وعلى ما يكلف القاضي الحكومة من الناحية المالية فإن هذه الزيارات المتباعدة قد تقلل من هيبة المفصل القضائي في نفوس الأهلين . أحد أمرين : إما أن يعين وكيل للنيابة في سيوة يشعر الناس بهيبة القضاء ، وإما أن يترك تصريف هذه الجنح والغرامات إلى مأمور القسم وهو رجل عسكري من رجال الجيش ، يتصرف فيها محليا حتى يشعر الناس بسطوة القانون

ولسيوة ، فضلا عن الناحية الاقتصادية التي يجب أن تستغل وتستثمر ، والناحية الاجتماعية التي يجب أن يهتم بها وتستصلح ، ناحية ثالثة لا تقل أهمية عن الناحيتين السابقتين : تلك هي الناحية «الاستراتيجية» . . فهي بمائها العذب وتمرها الوافر تعد مركزا عسكريا وتموينيا هاما للجيوش مدافعة كانت أو مهاجمة ، إن قربها من الحدود المصرية الغربية يحتم على المسؤولين إما أن يدربوا رجالها تدريبا عسكريا حيا ، أو أن يزيدوا حاميتها زيادة تليق بموقعها الهام لا أن تظل على ما هي عليه : ستة عشر جنديا ورئيسهم . ولن أكون كناقل التمر إلى هجر ، فإنما يحدثك عن استراتيجيتها رجل عسكري له في الجهاد سابقات ؛ ذلكم هو اللواء محمد صالح حرب باشا ، فقد زرنا معه منطقة قريبة من سيوة اسمها « جربة » وقد استحضر الرجل العسكري ذكريات عزيزة كريمة عن المناوشات والمعارك الحربية التي قام بها الثوار الوطنيون في سنة ١٩١٤ وكان معه في ثورة الحرية السيد الشريف السنوسي « صاحب الجلالة ملك ليبيا الآن » وكيف أنه لما نفد ماؤه وزادهم وقلت ناقلاتهم ووكائبهم لم يتقذهم إلا الجمال والبلح والماء من واحة سيوة فانتصروا على الإنجليز يومها انتصارا استراتيجيا

وأظننا لا ننسى أنها كانت هدفا للألمان والطليان في الحرب الأخيرة أثناء زحفهم في الصحراء الغربية . نعم ! إن الصحراء الغربية بجفافها واتساعها تعتبر حاجزاً طبيعيا ضد إغارة المغيرين على الوطن العزيز ، ولكن هذا لا يكفي مطلقا فإنه يجب أن نحصن حدودنا الغربية تحصينا كاملا قويا ، وخاصة وأن عدونا يعسكر في « كابتزو » بالقرب من حدودنا في دولة ليبيا الجديدة

من هذا تتضح أهمية « واحة سيوة » كمنطقة هامة يجب أن لا ننسى أو نهمل ، وإنه لو صحت العزائم ، لأمكن أن نستثمر الكثير وأن نستصلح الكثير . ولعلني أكون قد وفقت أن أنقل ما أثارته في نفسي زيارة هذه الواحة التي لاح لي في صفحة جالها أثارات من الأمس ، وفي سماء صفائها ألوان من السحاب ، وفي عيونها الجميلة ، فنون من العتاب !

صبري محمد حلوان

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة . . . الخ .

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك . . . الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد